حراسة العفاف

{تدبُّر سورة النور}

م. علاء حامد

ملخص المحاضرة الأولى

علاء حامد

سورة النور سورة مدنية بالإتفاق لم يختلف عليها أحد من أهل العلم

أسماء لسورة النور: (حراسة العفة وحماية العفاف و حماية جناب الفضيلة)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}

{سُورَةٌ} ما هي السورة؟

السورة من السور، وتعني الشيء العالي المرتفع لأن سور القرآن هي شيء عظيم له شأن كبير فسميت هكذا لأنها عالية الشأن

وأيضا فيها الحماية والإحاطة و سد الأبواب والمنافذ تجاه هذه الفاحشة

فسميت كذلك وكأنها سور سيحيط بك ويحميك من أن تقع في أمر الفاحشة فإذا التزمت بهذه الأسوار ووضعت هذه الأسوار حولك فإنك بإذن الله سبحانه وتعالى تكون محفوظ من هذه الفواحش.

{ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا } انزلها الله سبحانه وتعالى ، لها تنزيل خاص!

{وَفَرَضْنَٰهَا}: لها فرضية خاصة تليق بعظمتها.

فالسورة لها تعلق بأمر خطير من أمور المجتمع وهو أمر الفاحشة الذي لو دب في مجتمع فإنه يفسده فساداً عظيماً

ورد عن مجاهد كان يقول : "علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نسائكم سورة النور"

كان ابن عباس رضى الله ورده عنه يقول : " حججت أنا وصاحب لي وكان ابن عباس رضي الله عنهما على الحج كان أمير الحج فجعل يقرأ سورة النور ويفسرها فقال : صاحبي سبحان الله ماذا يخرج من رأس هذا الرجل لو سمعت هذا الترك لأسلمت"!!

{وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ} لأن أمر العفة لا يحتمل المواربة ولا يحتمل أن تكون الأحكام غير واضحة بل لأن الأمر جلل ولأن الغاية خطيرة فكان لابد أن يكون الطريق إليها واضح جداً

فائدة: من هذا الأمر أن ما يتعلق بأمر الفاحشة ينبغي أن يكون فيه حزم وشدة وقوة ووضوح لا نريد المواربة لا نريد أنصاف الحلول وإنما حل واضح جذري

لأن أنصاف الحلول في العادة في هذه القضية بالذات توصل إلى الفشل فقضايا الأعراض وحمايتها من الدنس ليست من المسائل التي تحتمل الخلاف بين العلماء

{لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} هذه من مقاصد السورة

موضوع سورة النور هي سورة تبنى أسواراً عالية قوية تحيط بك وتحميك من الفاحشة وتحفظ لك العفاف وتحفظ لك الفضيلة والحياء

بدأت سورة النور بـ جلد الزاني {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا}

ثم تعامل المجتمع مع هذا الأمر {وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ}

ثم حكم القذف {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ}

ثم حادثة الإفك

ثم أحكام الاستئذان {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا}

ثم أحكام غض البصر، ثم أحكام الحجاب ، ثم محارم المرأة

ثم عن الزواج {وَأَنكِحُوا الْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}

ثم في معاني إيمانية التعرف على الله ، و الدار الآخرة والتعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العلية

ثم في النظر فيما حولك من الكون {وَالطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ}

ثم الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم أحكام الإستئذان، استئذان الأطفال على آبائهم

السورة تبني لك أسوار بينك وبين الفاحشة.. أسوار متدرجة تبدأ بالسور الخارجي وتنتهي بالسور الداخلي

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا} الحاكم أو الدولة هما الذين يقيمون الحد

السور الخارجي : دولة تحمي العفاف أساسا ومجتمع رافض وطارد للرزيلة ، حازم مع الرزيلة ، حاكم يطبق الحدود

الأسوار الداخلية مهمة جداً لأنها تعوض ضعف الأسوار الخارجية

فلو عُدم سور من الأسوار الخارجية أو ضعف فإن السور الداخلي يعوض ذلك

النظر في الكون لان النظر في الكون يؤدي إلى مزيد من معرفة الله سبحانه وتعالى ، والمزيد من معرفة الله سبحانه وتعالى تؤدي إلى المزيد من تعظيم الله والخوف منه

كيف يعرف الله سبحانه وتعالى؟ يعرف في الآيات المقروءة نعرفه من خلال القرآن والسنة ويعرف من خلال النظر في الآيات الكونية

السور الداخلي: يتكون من معرفة الله سبحانه وتعالى ، من معرفة الدار الآخرة ، التعلق بأسماء الله الحسنى تكوين العبادات القلبية من الخوف والرجاء، تكوين العبادات القوية الأثر كالصلاة خاصة في المساجد ، والزكاة وغير ذلك

السور الداخلي : هو رفضك الشخصي للفاحشة ، قناعتك الشخصية لأن هذا الأمر أنت ترفضه وتخاف من الله سبحانه وتعالى أن تقع فيه

لماذا بدأ الله بالسور الخارجي وليس بالسور الداخلي؟

أولاً لعدة أمور:

الأمر الأول: لأن بناؤه سريع سهل وفي نفس الوقت ممكن يصد عنك ويعوضك عن بعض الأسوار الداخلية أما السور الداخلي فهذا يحتاج وقت في البناء

والسور الداخلي هو الذي ينفك في الآخرة.

السور الداخلي ينفعك في الدنيا والآخرة وأما السور الخارجي قد ينفعك في الدنيا فقط

لو فقد السور الخارجي يكون أصلاً بناء السور الداخلي صعب.

خدوا بالكم أنا مش ببررلك فتطلع من الدرس ده تقول الشيخ برر لنا إن إحنا مش هنعرف نبني وإحنا بقى هنعمل اللي إحنا عايزينه

لا أنا بعطيك نقطة مهمة جداً إن اللي بيبني السور الداخلي رغم عدم وجود السور الخارجي ده له عند ربنا شأن غير عادي ، شأن رهيب لأن هذا يبني وسط معاول هدم غير عادية

هذا هو الذي قال عليه النبي عليه الصلاة والسلام له أجر خمسين قالوا : خمسين منهم أم منا؟

قال : خمسين منكم اللي هو القابض على الجمر

قالوا له : لماذا لهم أجر خمسين؟

قال : إنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون

نبني السور الداخلي بـ حفظ الجوارح ، سد الذرائع ، التعبد ، التعرف على الله سبحانه وتعالى

تجد في السورة بالخصوص موضوع المراقبة كثيرا مثال: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

أن الله سبحانه وتعالى يراقبك محور مهم جداً لأن أساس موضوع العفاف هو قضية المراقبة

أخطر مداخل العدو على الأمة الإسلامية هو أمر الفواحش وأمر النساء وأمر المنكرات

أما بيدخل منه الأمة بتنهار وبتستسلم

حين تضبط الأمة هذا الباب تكون قريبة من التمكين والإستخلاف

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} بدأ بالمرأة لأن الأمر منها أفحش وأشد ولا يحصل الزنا أبداً إلا لو إذا وافقت

{فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}

{ فَاجْلِدُوا } الجلد يكون للزاني غير المحصن "أي غير متزوج لأن الزاني محصن حكمه مختلف"

الحكم في السنة ليس في القرآن بينت السنة إنه يرجم حتى الموت والنبي عليه الصلاة والسلام رجم، رجم ماعز، ورجم المرأة الغامدية ، ورجم الاثنين يهود

فالرجم ثبت في السنة وعمر رضي الله عنه رجم ، وأبو بكر رجم رضي الله عنهم ا وأرضاهم فالزاني المحصن يرجم

إذا سبق له الزواج يكون محصن

وأما غير المتزوج فإنه يجلد مئة جلدة

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} طبعاً أمر الزنا أمر رهيب لذلك جاءت فيه عقوبات شديدة

النبي عليه الصلاة والسلام في حديث سمرة ابن جندب في رؤية رآها الرسول عليه الصلاة والسلام قال : " رأيت الليل رجلين اتياني فاخذ بيدي قال انطلق فانطلقن إلى تقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً فإذا إقترب إرتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة

فقلت : لجبريل من هؤلاء؟

قال : هؤلاء هم الزناة"

تنور : فرن كبير موقد من تحته نار وتأتي لهم النار من تحت لأن المتعة جاءت لهم في الجزء السفلي

فلما جاءت لهم هذه المتعة بنفس الطريقة كان جزائهم جزاءً وفاقاً أن يعاقبوا هذا العقاب الأليم نسأل الله السلامة والعافية

النبي عليه الصلاة والسلام لما قيل له أي الذنب أكبر؟

قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك

قيل ثم أي؟

قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك

قيل ثم أي؟

قال : أن تزاني بحليلة جارك

الزنا درجات فلو الإنسان زنى بإمرأة جاره هذا أكبر الكبائر لأن يوجد به كمية من الخيانة وكمية من الفجور ليس لها مثيل نسأل الله السلامة والعافية

وهذه المرأة الغامدية حين تابت رجمها النبي عليه الصلاة والسلام قال لقد تابت توبة لو قسمت على أهل المدينة لكفتكم

هذه بشرى لكل من وقع في الزنا من قبل أو وقع فيما دون الزنا من زنى الجوارح وهذه الأشياء فإن الله سبحانه وتعالى يتوب على من تاب لكن إذا صدق في التوبة

الحد بيكفر الذنب

لكن إذا لم أخذ عقوبتي الدنيوية يبقى الأمر في مشيئة الله سبحانه وتعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له لكن من صدق في توبته فإن الله يغفر له حتى لو لم يقم عليه الحد

الزنا من مظاهر الجاهلية والتخلف في المجتمعات

جعفر حين عرض الإسلام على النجاشي عرض عليه عرضاً راقياً جداً قال : " إنا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام "

معالم التخلف قد سترها جعفر ومعالم التقدم قد سترها جعفر المجتمع الذي وجد فيما قاله جعفر من الجاهلية مجتمع متخلف

والمجتمع الذي وجد فيه ما قاله جعفر بعد الإسلام هو المجتمع المتحضر المتقدم وإن كان متأخر مادياً

هند إمرأة أبي سفيان لما أسلمت كان النبي عليه الصلاة والسلام يأخذ البيعة على النساء

قال سبحانه وتعالى {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ } فلما النبي عليه الصلاة والسلام أخذ العهد عليهم لا يزنين غضبت هند وقالت كلمة عظيمة قالت أوتزني الحرة ؟؟

الحضارة الحقيقية هي ما قدمته في بناء الإنسانية وليس في بناء الأسباب والهيئات والسيارات وإن كان ده جانب بلا شك يخدم الصناعة والزراعة لكن في النهاية الإنسان نفسه هو أهم شيء بناء الحياء والصدق والصلة العفاف وهذه الأمور

فلذلك نحن وإن كنا متخلفين صناعياً زراعياً ولكن بتمسكنا بإسلامنا نحن متحضرين على الجانب الإنساني ، على الجانب الرباني ، على الجانب الذي يرضي الله سبحانه وتعالى

{وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} هيقام الحد الآن على الزانية و الزاني والحد مائة جلدة!!

البعض يقول لماذا يجلدون والاسلام دين رحمة؟

الذي يحصل ده هو عين الرحمة بالجاني وعين الرحمة بالمجتمع لذلك هذا السؤال إيه الفرق بين الرأفة والرحمة؟

الرأفة : هي ما كان أوله خير وآخره خير (فكأن أول حياتك خير ونصها خير وأخرها خير)

والرحمة : هي ما كان أوله خير أو شر ولكن آخره خير (أولها كان شكله شر لكن آخرها كان خير)

هنا الرأفة ستكون غير محمودة لأن هي في الحقيقة مش هتبقى رأفة هتبقى ظلم لماذا؟ لأن هو هيبقى الموضوع أوله خير لكن اخره شر

سيحصل إنه نفسه سيتجرأ على المعصية مرة أخري وإن المجتمع هيهون عليه أمر المعصية حين يجد من يفعل ذلك بيتسامح وممكن نتصالح وممكن الحاكم يعفو عنه المجتمع هيتأذى جداً فيبقى ده لا رأفة ولا رحمة لذلك ربنا قال {وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رأفة}

النبي عليه الصلاة والسلام طبق حد الزنا خمس مرات بس في عهد المدينة!!

عشر سنين طبقوا خمس مرات بس!!

وكلهم إعترفوا الخمسة دول معترفين ومنهم اثنين يهود تخيل

وطبق حد السرقة مرة واحدة

{وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} لماذا؟

هتلاقي المجتمع كله يخاف ، يخاف على سمعته ، يخاف على سمعة عيلته ، يخاف على إن هو يتجلد.

الحمد لله رب العالمين

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك